(( قاتلٌ لليل ))

عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

موقع جامع هيا العساف : <http://www.hayaalassaf.com>

القناة الرسمية على اليوتيوب : https://www.youtube.com/channel/UCq3VB0Xi1Zorm3\_Hje4JaCw

الأولى

ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭼ القصص: ٧٢

قبل زمنٍ ليس ببعيد ، كانت ساعات النوم ، تحلّ بعد صلاة العشاء مباشرة ، وكان الناس ينامون في أسطح المنازل ، وأفنية الدور ، بل كان الناس ينتظرون صلاة العشاء ورؤوسهم تخفق من شدة التعب والعناء ، فيصلون العشاء ، ويأوون إلى فرشهم ، وقبيل الفجر أضاءت البيوت ، وقام الركع السجود ، وغدا الناس في الظلمات إلى بيوت الله صغاراً وكباراً بسكينةٍ ووقار ، وراحةٍ وإيمان ، فأقاموا صلاة الفجر مع جماعة المسلمين في وقتها ، وقام الرجال إلى أعمالهم ، والنساء في بيوتهن إلى مهامهن .

أما اليوم فتغير نمط الحياة ، وغدا السهر ركناً من أركان حياتنا اليومية ، وظاهرةً تعاني منها أغلب الأسر ،فالكل أو الكثير يسهر الليل وينام النهار بل غدا السهر مجمعاً للأخطار ، ومصدراً للجرائم الأخلاقية ، والحوادث المرورية ، والمشاكل الاجتماعية ، أصبح الليل فريسةً لاصطياد الفتيات والمردان ، ومزبلةً لكلّ شرٍّ وبلاء ، فمع وسائل التواصل التي شحنها شياطين الإنس والجن بألغام من الشبهات والشهوات ، أصبح السهر ملازماً لشبابنا وأطفالنا وبيوتنا فبيوت المسلمين تعيش معركة ليلية مع الأطفال والشباب والفتيات لنبذ السهر وأخذ قسط من الراحة في هذا الليل الذي جعله الله عز وجل سكناً وراحةً وأمناً ، ناهيكم عن السهر الطويل في الإجازات الأسبوعية والصيفية فذاك سهرٌ من نوع آخر ، قلَّ أن ينكره أب ، أو تشمئز منه أم ، بل إن وسائل التواصل والقنوات تنشط في الليل وتكشف عن شرورها ومكرها بأصناف من الخبال واللغو والقيل والقال ، حقًّا أصبح الليل لحظات طيش ، وضلال عيش ، سهر على الجيف والمعاطب ، سهر على الضياع والهلاك ، سهر على الشبهات والشهوات، لقد دبّ السهر القاتل لأعمالنا وأعمارنا في صغارنا وكبارنا، سهر دخيل وغريب ، وسمر مخيفٌ مريب ، تنكره القلوب السليمة ، وتشمئزّ منه النفوس المستقيمة ، يسهر الواحد منّا الليل فينام متأخراً ، ويصلّي الفجر متأخراً ، ويذهب العمل والمدرسة متأخراً ، فيكون في عمله وأداء رسالته متأخراً ، فيعيش عن الركب متأخراً ، صدق الله ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ المدثر: ٣٧

وكل ذلك مسجّلٌ في صحائف الأعمال ومسطر في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى ، فالله تعالى جعل الليل سكنا ، تهدأ به الأنفاس ، وتسكن فيه الأعضاء والحواس ، وتحصل فيه الراحة والإيناس ، ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ ﭼ القصص: ٧٣

ولا يغالب أحدٌ سنة الله تعالى فيه إلا هلك ؛ ولذا كان النوم من النعم التي يفرح بها الإنسان ، والأرق من النقم التي يبتلى بها الإنسان ، ومن لا ينام أبداً لا يلبث أن يموت ، ﭽ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ يونس: ٦٧

فنوم الليل نعمة لا يعرف قدرها إلا من فقدها .

نوم الليل نعمة فقدها المرضى على الأسرة البيضاء ، فقدها الأسرى والسجناء .

نوم الليل نعمة حرمها حراسُ الثغورِ والحدودِ من غزو ومكر الأعداء .

آهٍ .. لو علمنا أن هذه الليالي التي تمضي في السهر والعبث ما هي إلا طيف وضيف ، ساعات ثم تزول ولن تعود أبداً ، وسيندم الإنسان على ضياعها ، ويتحسّر على فواتها ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ مريم: ٣٩

بل يقال للعبد : انظر ما كتبت يداك ، ونظرت عيناك ، وسمعت أذناك في تلك الليالي والسهرات ﭽ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ الإسراء: ١٣

يقول عروة بن الزبير : انْصَرَفْتُ بَعْدَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ فَسَمِعَتْ كَلَامِيَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا خَالَتِي، وَنَحْنُ فِي حُجْرَةِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا سَقْفٌ فَقَالَتْ: يَا عُرْوَةُ مَا هَذَا السَّمَرُ؟ «إِنِّي مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ نَائِمًا قَبْلَ هَذِهِ الصَّلَاةِ وَلَا مُتَحَدِّثًا بَعْدَهَا، إِمَّا نَائِمًا فَيَسْلَمُ أَوْ مُصَلِّيًا فَيَغْنَمُ» .

الله أكبر رضي الله عنك يا عائشة ، كيف لو وقفت اليوم على دورنا فسمعتي إلى الضحكات ، والقنوات ، والأغاني الماجنات تفوح من بيوتنا إلى نصف الليل بل ربما إلى ثلث الليل الأخير ؟

كيف لو رأت عائشة أطفالاً ، ونساءً كباراً ، ورجالاً تجاوزوا سن الرشد ، وبلغوا من الكبر عتياً يسهرون الليل على العبث ، والنت ، والقيل ، والقال ؟

وَهذا حُذَيْفَةُ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدعوه رجل عَلَى بَابِهِ بعد صلاة العشاء فَخَرَجَ إِلَيْهِ حذيفة فَقَالَ: مَا حَاجَتُكَ؟ فَقَالَ: الْحَدِيثُ. فَأَغْلَقَ الْبَابَ دُونَهُ وَقَالَ: «جَدَبَ(أي: ذمّه وعابه) لَنَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَدِيثَ بَعْدَ الْعَتَمَةِ» ويقول خَرَشَةُ بْنِ الْحُرِّ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضْرِبُ النَّاسَ بِالدِّرَّةِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَيَقُولُ: «أَسَمَرٌ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَنَوْمٌ آخِرَهُ» وهذه عَمْرَةُ رَحِمَهَا اللَّهُ تقول : أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ إِذَا سَمِعَتْ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا يَتَحَدَّثُ بَعْدَ الْعِشَاءِ، قَالَتْ: " أَرِيحُوا كُتَّابَكُمْ ، وَهذا مُعَاوِيَةُ بِنْ قُرَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يحدّث أَنَّ أَبَاهُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ إِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ: «يَا بَنِيَّ، نَامُوا لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ خَيْرًا» .

بل يقول أبو الزناد : كنت أخرج من السحر إلى مسجد النبي فلا أمر ببيتٍ إلاّ وفيه قارئ .

أما اليوم فنشكو إلى الله تعالى حال بيوتنا فلا تمرّ ببيت إلا وأصغيت إلى غطيط أهله بالنوم بعد سهر على اللغط ، والفحش ، والغرام ، والآثام إلا من رحم .

تعالوا بنا معاشر المؤمنين إلى بيت النبوة لنكشف عن المنهج النبوي ، إذا أقبل الليل وأدبر النهار ، تقول عائشة رضي الله عنها : ((مَا نَامَ رَسُولُ اللَّهِ قَبْلَ الْعِشَاءِ، وَلَا سَمَرَ بَعْدَهَا )) رواه ابن ماجه وصححه الألباني .

ويقول أبو برزة الأسلمي : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ((يَسْتَحِبُّ أَنْ يُؤَخِّرَ العِشَاءَ، الَّتِي تَدْعُونَهَا العَتَمَةَ، وَكَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَهَا، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا )) متفق عليه .

وهذا الغلام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يحدّث عن حال النّبيّ إذا غدا إلى بيته بعد صلاة العشاء فيقول : بتُّ لَيْلَةً عِنْدَ خالتي مَيْمُونَةَ -رضي الله عنها- زَوْجِ النَّبِيِّ فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الوِسَادَةِ " وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى عَلَى رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي اليُمْنَى يَفْتِلُهَا، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ " متفق عليه .

قال الإمام النووي رحمه الله : وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى كَرَاهَةِ الْحَدِيثِ بَعْدَهَا إِلَّا مَا كَانَ فِي خَيْرٍ كَمُدَارَسَةِ الْعِلْمِ وَحِكَايَاتِ الصَّالِحِينَ وَمُحَادَثَةِ الضَّيْفِ وَالْعَرُوسِ لِلتَّأْنِيسِ وَمُحَادَثَةِ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَأَوْلَادَهُ لِلْمُلَاطَفَةِ وَالْحَاجَةِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْإِرْشَادِ إِلَى مَصْلَحَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (5/147) .

**أقول قولي هذا واستغفروا الله العظيم ..**

الثانية

هل سمعتم بالسهر المحمود ؟ فتعالوا بنا لنعرض عن السهر المذموم إلى السهر المحمود الذي ذكره الله في كتابه فقال سبحانه في سورة الذاريات وهو يتحدث عن صفات المتقين ، وسهرهم المحمود ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ الذاريات: ١٧ وقال سبحانه عن سهر عباده المؤمنين ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ السجدة: ١٦

عبدالله .. الله يعلم أنني كلّ ما سمعت بهذه الآية تتلى فجر كل جمعة في المساجد والمحاريب نكست رأسي خجلاً وحياءً من الله ، فالعمر مضى ، والأجل دنا ،

فما هو نصيبنا في هذا الليل الطويل من هذ السهر ؟

بل تأمّل بلاغة القرآن وهو يتحدّث عن سهر هؤلاء العظام ، فجعل بياتهم قياماً فقال سبحانه ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﭼ الفرقان: ٦٤

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن الحسن أنه قال : يَنْتَصِبُونَ لِلَّهِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ وَيَفْتَرِشُونَ وُجُوهَهُمْ سُجَّدًا لِرَبِّهِمْ تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ خَوْفًا مِنْ رَبِّهِمْ " ثم أنظر رعاك الله حال من أرقه التفكير في الأخرة ونعيمها وجحيمها فصار يعيش خوفا ورجاء فوصفه الله حاله ( أية الزمر)

أما نحن فلنكن صرحاء فمنّا أقوامٌ ينامون الليل كلّه ويعجز أحدنا أن يتهجّد بين يدي الله بركعتين، ومنا أقوام يسهرون الليل كله في اللهو واللغو،

تقول أم سعيد الطائية : كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير، فكنت أسمع حنينه عامة الليل، لا يهدأ، وربما ترنم في السحر بالقرآن، فأرى أن جميع النعيم قد جمع في ترنمه، وكان لا يسرج عليه ( أي كان يصلي في الظلام) سير أعلام النبلاء (7/93) .

يقول أبو بكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول: ذهبت الصلاة مني وضعفت ورق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا بالبقرة وآل عمران. صفة الصفوة (2/60) .

لا إله إلا الله .. لما كبر سنّه ورقّ عظمه أصبح لا يقوم إلّا بأربعة أجزاء .

شمّر للأمر قد شمّرا وقطعَ الليل صلاةً وَدُعا

أنشد ما قد قاله من قد مضا عند الصباح يَحْمُدُ القومُ السُّرَى

وهذا الهيثم بن جماز يقول عن زوجته : كانت لي امرأة لا تنام الليل ، وكنت لا أصبر معها على السهر ، وكنت إذا نعست ترشّ عليّ الماء في أثقل ما أكون من النوم وتقول : ((أما تستحي من الله ، إلى كم هذا الغطيط)). فوالله إن كنت استحيي مما تصنع

ذكر الوعيد فطرفه لا يهجع وجفا الرّقاد فبان عنه المضجع

كم في الظلام له إذا نام الورى من زفرة في إثرها يتوجّع

ويقول في دعواته يا سيدي العين يسعدها دموع رجع

إني فزعت إليك فارحم عبرتي واليك من ذلّ الخطيئة أفزع

فامنن عليّ بتوبة أحيا بها إني بما اجترمت يداي مروّع

أخي عذراً والله فإنّ مثلي ليعجز أن يصف حال الساجدين في الأسحار ، فما يذاق بالقلب لا يوصف باللسان ، يقول سفيان الثوري رحمه الله : إذا جاء الليل فرحت، وإذا جاء النهار حزنت. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (1/85) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ " رواه البخاري .

هل بعد هذا التشويق نتراخى ونتكاسل ؟

ماذا فقد من سمع بهذا الحديث ثم لم يكن له منه نصيب؟

ماذا فاته من فاته قيام الليل ؟

يقول الفضيل بن عياض : كذب من ادعى محبتي، فإذا جنه الليل، نام عني. سير أعلام النبلاء (14/424) .

أخي خذ من العمر في أوله ، واعمل منه في أفضله ، قبل أن يحبسك الكبر ويفنيك الهرم ، وتندم ولا ينفعك الندم .

لَوْ يَعْلَمُ الرَّاقِدُ مَا فَاتَهْ \*\* وَأَيَّ مَجْدٍ هَدَّ أَبْيَاتَهُ

لَقَلَّلَ النَّوْمَ عَلَى فُرْشِهِ \*\* وَسَدَّ بِالْخِدْمَةِ أَوْقَاتَهُ

وَأَرْسَلَ الدَّمْعَةَ مَمْزُوجَةً \*\* عَلَى مَبِيتٍ طَالَ مَابَاتَهُ

ضَيَّعَ فِيهِ الْحَظَّ مِنْ قُرْبِهِ \*\* وَلَمْ يُبَالِ بِالَّذِي فَاتَهُ

معاشر المؤمنين .. إن الحديث عن السهر في السحر بتلاوة القرآن وقيام الليل لا يؤثر في القلوب إلا إذا كان من الكبار أهل العزائم كما قال ابن القيم رحمه الله : وأما السابقون المقربون: فنستغفر الله الذين لا إله إلا هو أولا من وصف حالهم وعدم التصاف به، بل ما شممنا له رائحة. ولكن محبة القوم تحمل على تعرف منزلتهم والعلم بها . طريق الهجرتين وباب السعادتين ص205 .

هذا ابن القيم رحمه الله يقولها تواضعاً وازدراءً للنفس وهو من هو في التهجد والقيام ، أما أنا فنسأل الله تعالى أن يسترنا بستره وأن لا يكشف لنا عورة ، ولكن نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

وَصَفْت التُّقَى حَتَّى كَأَنَّك ذُو تُقَى

وَرِيح الْخَطَايَا مِنْ ثِيَابك تَسْطَع

أخي كلنا مذنبون ومقصرون فما أحوجنا أن نطرق باب

السحر ونسأله الرحمة والمغفرة